مجلة مقامات
EISSN 2253-0363: / ISSN : ISSN2543-3857
المجلد 05 / العـدد: 01 (2021)
ص 380- 400

# التعايش السلمي في ثقافة الأمير عبد القادر الجزائري

Peaceful coexistence in the culture of Emir Abdelkader Al-Jazaery


| الباحث(ة) | مؤسسة الانتماء | البريد الالكتروني |
|---|---|---|
| د. معطي العيد<br>D. mati laid | جامعة وهران1 أحمد بن بلة | ma-ati74@windowslive.com |



**ملخص:**

إن المستقرئ لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم والدارس لنصوص الشريعة الإسلامية ليلفي أنها قد جســـدت مبدأ التعايش السلمي في أبهى صوره وأروع نماذجه، وقد استمرت هذه الثقافة بعد زمن النبوة في عصر الخلافة الراشدة، والعصور التي تليها بشهادة حتى غير المسلمين، وفي العصر الحديث قد ضرب الأمير عبد القـــادر الجزائري أروع الصور والنماذج في تكريس هذا المبدأ، فكان بحق أيقونة السلام في عصرنا، وهو ما سنستشفه في هذا المقال.


**الكلمات الافتتاحية:** التعايش- السلمي- الأمير عبد القادر- السلام- الحرية- العدالة.


**Abstract:**

The reciter of the biography of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, and a student of the texts of Islamic law, to conclude that it has embodied the principle of peaceful coexistence in its most beautiful and wonderful forms. Prince Abdelkader Al-Jazaery is the most wonderful pictures and models in the dedication of this principle. He was truly an icon of peace in our time, which we will discover in this article.


**key –words:** Peaceful coexistence - Emir Abdelkader - peace - freedom - justice.

**1. مقدمة:**

الحمد لله القائل في محكم التنزيل: **( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا )** [ الحجرات: 13 ]، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، رسول المحبة، وداعية السلام، ما غرد طير على الأكمام، وعلى آله وصحبه، ما توالت الليالي والأيام، وبعد:

فمما لا يتمارى فيه مسلمان صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان، ومواكبتها لكل ما يستجد من أقضية الناس في كل مصر وأوان، لما اتسمت به من خصائص ومميزات جعلتها مهيمنة على جميع الشرائع، قال الله تعالى: **( وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ )**[ المائدة: 48 ]، فهي رحمة كلها، وعدل جميعها، جاءت لتحقق مصالح الناس في الحال والمآل، وتنظم جميع شؤونهم في العاجل والآجل، في أحوالهم الاعتيادية والاستثنائية، في علاقتهم مع ربهم، ومع بني جنسهم، مسلمين وغير مسلمين، فهي عالمية في رسالتها، قال الله تعالى في شأن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: **( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ )** [ الأنبياء: 107 ]، إنسانية في نزعتها، قال تعالى: **( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ )** [ الحجرات: 13 ]، وسطية في منهجها، سمحة في أحكامها وتشريعاتها، فلا إفراط ولا تفريط، ولا عنت ولا شطط، ترمي إلى تحقيق العدالة والمساواة، وتوفير السلم والسلام بين جميع البشر دون تمييز بين نوع ونوع أو جنس وجنس، بما يكفل تحقيق التعايش السلمي، والنهوض الحضاري.

وإن المستقرئ لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم يجد أنه قد جسد مبدأ التعايش السلمي في أبهى صوره وأروع نماذجه، فبعد أن بنى المسجد آخى بين المهاجرين والأنصار، وأبرم ميثاق سلم بين المسلمين وغيرهم، ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي.

واستمرت ثقافة التعايش السلمي في عصر الخلافة الراشدة، والعصور التالية لها، وهو ما شهد به حتى غير المسلمين، قال المستشرق " ول ديورانت ": " لقد كان أهل الذمة

المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يتمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام "[1].

وفي العصر الحديث ضرب مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة الأمير عبد القادر الحسني أروع النماذج في تجسيد مبدأ التعايش السلمي والتسامح، أهَّلَه لأن يكون شخصية عالمية إنسانية، لما اتسم به من مبادئ النبل، ورقي الأخلاق، حتى في حالة الحرب، ولم يكن رحمه الله بدعا في ذلك، بل أسوته رسول السلام، وإمام المحبة والوئام، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وفي هذه المقالة سأتعرض إلى مفهوم التعايش السلمي في المنظور الإسلامي، مظهرا جانبا من ذلك في ثقافة الأمير عبد القادر وتعامله، فقسمتها إلى: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، أتناول في المبحث الأول مفهوم التعايش السلمي في اللغة والاصطلاح، وأهم مرتكزاته في المنظور الإسلامي، وفي المبحث الثاني أذكر تكريس الأمير عبد القادر لمبدأ التعايش السلمي في حربه وسلمه.

## المبحث الأول: مفهوم التعايش السلمي وأهم مرتكزاته.

### المطلب الأول: مفهوم التعايش السلمي.

التعايش السلمي مركب إضافي يتألف من كلمتين: ( التعايش ) و( سلمي ) فيتعين الوقوف على معنى جزئيه للخلوص إلى إعطاء مفهوم له.

**1- معنى التعايش:**

**أ- لغة:** التعايش مشتق من العيش، والعيش- كما في لسان العرب: هو الحياة[2].

وفي المعجم الوسيط: " عايشه: عاش معه، تعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة، ومنه التعايش السلمي، والعيش معناه: الحياة، وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل "[3].

وقال الفيروز آبادي: " والتعايش: المعايشة، عاش معه، كقولهم عاشره،.. وتعايشوا بألفة ومودة "[4].

من هذه التعاريف نخلص إلى أن التعايش مأخوذ من العيش: وهو الحياة، وما تقوم به من مطعم، ومشرب، وملبس، ونحو ذلك، ويكون التعايش بألفة ومحبة.

**- اصطلاحا:**

عرف بعضهم التعايش السلمي فقال عنه: " مجتمعات متكاملة يعيش فيها الناس من مختلف الأعراق والأجناس والأديان منسجمين مع بعضهم البعض، ولا يتطلب أدنى فكرة للتعايش سوى أن يعيش أعضاء هذه الجماعات معا دون أن يقتل أحدهم الآخر"[5]، وبعبارة أخــرى فالتعايش: هو قبول الآخر، واحترام رأيه، دون السعي لإلغائه، أو إقصائه، وإلحاق الضرر به، وحيث وجد التعايش وجد السلم، فهما صنوان متلازمان، لأن التعايش انسجام، وتكامل، واحترام للحريات، وهذا كله من أسباب الأمن والعيش في سلام.

**2- معنى السلمي:**

السلمي نسبة إلى السلم، من سلم سلامة، ومعناه: البراءة من العيوب، والسلام اسم من أسماء الله عز وجل[6]، " والسلم ( بفتح السين وضمها ): هو الصلح- يذكر ويؤنث- ...والتسالم: التصالح، والمسالمة: المصالحة "[7].

ولا يفهم من قيد ( السلمي ) أن هناك تعايشا غير سلمي، لأن التعايش لا يثمر إلا سلما، فيكون قيدا كشفيا، وليس احترازيا.

**- المطلب الثاني: مرتكزات التعايش السلمي في المنظور الإسلامي**

إن المتأمل في نصوص الشريعة الإسلامية يجد أنها قد وضعت أسسا وقواعد ومرتكزات يقوم عليها تعامل المسلمين مع بعضهم أو مع غيرهم، لبناء حضارة يسودها الأمن والاستقرار في جميع مناحي الحياة، ويمكن أن نجمل هذه الأسس والمرتكزات فيما يلي:

**1- التكريم الإلهي للإنسان:**

إن الإنسان في التصور الإسلامي هو نفخة ربانية بوَّأها المولى سبحانه أعلى مراتب الوجود، فجعله خليفة له في أرضه، قال الله تعالى: ( **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ) [ البقرة: 30 ]، ولأجل هذه الغاية العظيمة استحق التكريم، قال الله عز وجل: ( **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ) [ الإسراء: 70 ]، وحتى يتسنى له القيام بها خير قيام سخر المولى سبحانه له السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، قال الله عز وجل: ( **وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ) [ الجاثية: 13]، ومن ثَمَّ نص الشرع على احترام الإنسان لأخيه الإنسان، بغض النظر عن توجهه ومذهبه ومعتقده، وعدَّ الاعتداء عليه بغير وجه حق جريمة عظيمة، قال الله تعالى: ( **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ) [ المائدة: 32 ]، ولا أدلَّ على دعوة الإسلام إلى احترام آدمية الإنسان من ذلك الموقف منه صلى الله عليه وسلم، فقد جاء في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: أليست نفسا[8].

**2- الحرية:**

من أبرز مرتكزات التعايش السلمي التي نصت عليها شريعة الإسلام مبدأ الحرية، فقد اقتضت السنة الإلهية أن تجعل الناس مختلفين في المعتقد، قال الله تعالى: ( **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**) [ هود: 118-119 ]، ثم أنزل الله الكتب وأرسل الرسل ليبينوا للناس سبيل الهداية، ويحذروهم طريق الغواية دون إكراه أو قهر واضطهاد، بل تُرك للإنسان حرية الاعتقاد، قال تعالى: ( **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** )[ الإنسان: 03 ]، وقال جل ذكره:

( **وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**)[ الكهف: 29 ]، وقال عـز من قائل: ( **لاَ إَكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** )[ البقرة: 256 ].

وإن المستقرئ لتاريخ الأمة الإسلامية يجد أنها شهدت في عصورها المختلفة انضواء ثقافات متباينة، وعقائد مختلفة، تحت مظلة الإسلام، دون أن تكون محاولة منظمة لإلغاء الآخر وإزالته، ودون أن تشهد صراعا أو تصادما، وهو ما شهد به حتى غير المسلمين، يقول توماس آرنولد: " لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي "[9].

**3- العدالة:**

ومن مرتكزات التعايش السلمي التي أرسى دعائمها الإسلام وكرسها في حياة الناس العدل بين المسلمين وغير المسلمين، قال الله تعالى: ( **يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إَنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ) [ المائدة:08 ]، وقال جل ذكره: ( **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حِكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ) [ النساء: 58 ]، فقد أمرت الآية الكريمة بالعدل بين جميع الناس فقالت: ( إذا حكمت بين الناس )، ولم تقل: إذا حكمت بين المسلمين، ومنه حرمت الشريعة الإسلامية- تحقيقا لمبدأ العدالة- الظلم بكل ألوانه وأشكاله، سواء تعلق بالمسلمين أو غير المسلمين، قال صلى الله عليه وسلـم: ( **أَلاَ مَنْ ظَلَـمَ مُعَاهِـدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ** ) [10]، وقال صلى الله عليه وسلم: ( **من قتل نفسـا معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما)** [11].

**4- التسامح:**

ومن أهم مرتكزات التعايش السلمي والتي جسدها الإسلام في واقع الناس خير تجسيد، مبدأ التسامح، أو يمكن أن نصطلح عليه بمصطلح المواطنة، سواء على المستوى

الديني، إذ لم يكره أحدا على الدخول فيه: ( **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ) [ البقرة: 256 ]، أو على المستوى الفكري، بإتاحة الفرصة للإنسان بأن يعبر عن أفكاره، ويبدي مبادئه، ما لم يتعد على ثابت من ثوابت الشرع، ويمس بأمن المجتمع، وفي حالة امتناعه عن الانصياع إلى تعاليم الإسلام بعد إقامة الحجج والبراهين، فليس له عليه سلطان، ولكن غاية ما هنالك، القول الحسن والموعظة، قال الله تعالى: ( **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** ) [ البقرة: 83 ]، وقال سبحانه: ( **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** ) [ النحل: 125 ].

وقد بلغ من سماحة الإسلام وتسامحه أن كثيرا من البلدان المفتوحة آثرت حكم المسلمين على حكم أهل ملتهم وديانتهم، والشواهد على ذلك كثيرة، منهـــا: أن الجيش الإسلامي لما بلغ وادي الأردن، وعسكر أبو عبيدة رضي الله عنه في بلدة ( فحل ) كتب الأهالي النصارى في تلك البلاد إلى العرب الفاتحين يقولون: " يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، وأنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على منازلنا " [(12)]، و" لما جمع هرقل للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك، ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج، وقالوا: شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم، فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم، ونهض اليهود فقالوا: والتوراة لا يدخل عامل

هرقل مدينة حمص إلا أن نغلب ونجهد، فأغلقوا الأبواب وحرسوها، وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود، وقالوا: إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه، وإلا فإنا على أمرنا ما بقى للمسلمين عدد " [(13)]، تقول المستشرقة الألمانية الدكتورة زيجريد هونكه: " إن الإسلام هو لا شك أعظم ديانة على ظهر الأرض سماحة وإنصافا، نقولها بلا تحيز، ودون أن نسمح للأحكام الظالمة أن تلطخه بالسواد، إذا ما نحينا هذه المغالطات التاريخية الآثمة في حقه، والجهل البحت به، وإن علينا أن نتقبـــل هذا الشريك والصديــق، مع ضمـان حقه في أن يكون كمـا هو "[(14)].

**5- الحوار**: ومن أهم مرتكزات التعايش السلمي في التصور الإسلامي مبدأ الحوار، فقد اقتضت حكمة الله عزوجل أن يجعل الناس مختلفين في ألسنتهم وألوانهم، وعقولهم، ومداركهم، ومعارفهم، قال الله عز وجل: ( **ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين** ) [ الروم: 22 ]، وقال جل ذكره: ( **ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم** )[ هود: 118-119 ]، فالحوار من أمثل الوسائل للتخاطب بين الناس، وأنجع الأساليب لتفادي كثير من الصراعات، وتحقيق مبدأ التعايش السلمي، واحترام رأي الآخر، ومد جسور التواصل، وتقريب وجهات النظر، لذا أولاه الإسلام عناية كبيرة، فالقارئ لنصوص الكتاب والسنة يجد أنهما قد حفلا كثيرا بالحوار، وقد وردت عدة نصـــوص تدعو إلى الحوار مبينة ما ينبغي أن يلتزمه المحاور من لين الجانب، والقول الحسن، قال الله تعالى: ( **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** )[ النحل: 125 ]، وقال سبحانه: ( **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن** ) [ العنكبوت: 46]، وأن يكون قصد المحاور نفع غيره أو الإعذار إلى الله عز وجل: قال الله تعالى: ( **وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون** ) [ الأعراف: 164 ]، وأن يكون متجردا في حواره من كل خلفيات أو أحكام مسبقة عمن يحاور، يقول الإمام الشافعي في هذا الشأن: " ما كلمت أحدا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان، وتكون عليه رعاية الله وحفظه، وما ناظرت فباليت أَظَهَرَت الحجة على لسانه أو لساني "[15]، أدب جم لا يبلغه إلا من كملت أهليته واستنارت بصيرته.

**المبحث الثاني: التعايش السلمي في ثقافة الأمير عبد القادر الجزائري.**

بعد الوقوف على مفهوم التعايش السلمي في اللغة والاصطلاح، وأبرز مرتكزاته في المنظور الإسلامي، أحاول في هذا المبحث إبراز هذا المبدأ عند شخصية عالمية معاصرة،

اعترف بفضلها القريب والبعيد، والعدو والصديق، والموافق والمخالف، إنه قائد المقاومة الجزائرية، ومؤسس دولة الجزائر الحديثة، الأمير عبد القادر الجزائري، العالم العابد، والناسك المجاهد، صاحب المواقف الجليلة، والمآثر النبيلة، فإن الدارس لسيرة هذا الرجل يلمس القدر الكبير الذي يتمتع به من التسامح، وإن القارئ لمؤلفاته يقف على مدى الوعي بحقيقة الإنسان واحترامه لحقوقه الإنسانية، انطلاقا من مبدأ التكريم الإلهي للإنسان، وفي هذا المبحث سأسلط الضوء على جانب عظيم من شخصية الأمير عبد القادر، يتمثل في إيمانه العميق بضرورة الحوار، والتعايش السلمي، للنهوض بالحضارة الإنسانية ودفع الصدام، والتنازع بين الحضارات، فقسمته إلى مطلبين:

**- المطلب الأول: الأمير عبد القادر في سطور[16].**

**مولده ونشأته:**

هو عبد القادر بن محـــي الدين بن مصطفى، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي وابن فاطمة رضي الله عنهما، ولد يوم الجمعة 23 رجب 1222هـ/ ماي 1807م بقريـــة القيطنة الواقعة في الشمال الغربي لمدينة معسكر، لقي العناية والرعاية من والديه فأنشآه خير تنشئة، وقد تلقى علومه الأولى فـــي قريته، فتعلم الكتابة والقراءة وعمره لا يتجاوز خمس سنوات، وأتم حفظ القرآن الكريم وعمره لم يتجاوز الاثني عشرة سنة، ولم يكـــن الأمير عبد القادر فارس قلم فحسب، بل كان فارس سنان أيضا، جمع بين العلم الديني والدنيوي وركوب الخيل، فقلَّ نظيره آنذاك.

**- زواجه:**

تزوج عبد القادر من بنت عمه علي بو طالب لالا الزهرة في سن مبكرة، فتجشمت معه تحمل الأمانة الثقيلـة والمسؤوليـــة الصعبة بعد مبايعته أميرا، ولم تقصر في واجباتها طرفة عين، فكانت مثالا للمرأة الوفية الصابرة المحتسبة، تشاطره مشاق الحياة، ولوعـة

الفراق، يقول الأمير عبد القادر في قصيدة يصور فيها ما كان يعانيـــه من ألم الفراق وتعانيه هي:

أقول لمحبـــوب تخلف من بعدي ... عليلا بأوجاع الفـــراق والبعـــد
أما أنت حقـــــا لو رأيت صبابتي ... لهان عليك الأمر من شدة الوجد
وأرى المسكيـــــن عذبـه النـــوى ... وأنهاه حقـــا إلى منتهى الحـــد
وإني وحقِ الله دائم لوعـــــــــة ... ونار الجوى بين الجوانح في وقـد
ومن عجب صبري لكل كريهـــــة ... وحمليَ أثقالاً تجلّ عـــن العـــد
ولست أهاب البيض كلا ولا القنـا ... بيوم تصير الهام للبيض كالغمد
وأرجاؤه أضحت ظلاما وبرقـــــه ... سيوفا وأصوات المدافع كالرعـد
ولا هالني زحف الصفوف وصوتها ... بيوم يشيب الطفل فيه، مع المرد
وقد هالني بل قد أفاض مدامعـي ... وأضنى فؤادي بل تعدى عن الحد
فراق الذي أهواه كهلا ويافعـــا ... وقلبي خليٌّ من سعادٍ، ومن هـند
ألا هل يجود الدهر بعد فراقنـــا ... فيجمعنا والدهر يجري إلى الضد
وأشكوك ما نلت من تعب ومـــا ... تحمله ضعفي وعالجه جهـدي
كي تعلمـــي أمّ البنينَ بأنـــــــه ... فراقك نـار واقترابك من الخلد[17]

**- رحلته لأداء فريضة الحج:**

في سنة 1241هـ خرج الشيخ محي الدين قاصدا مكة لأداء نسك الحج واصطحب معه ابنه الشاب عبد القادر في أول رحلة إلى البقاع المقدسة، ولما بلغ الخبر الناس أتوا من جميع النواحي لتوديعهما، مما أربك حاكم وهران الداي حسين، فأخضعـــه وولده تحت رقابة جنود الأتراك بحجة أنه يحرسه، وإن كان الأمر غير ذلك، فقد كان يتوجس منهما خيفة، لما كانا يتمتعان به من شعبية واسعة، لكنه لم يجد في نهاية المطاف بدا سـوى أن يأذن لهما بالخروج، فخرج محي الدين وولده حتى وصلا تونس مارّينَ بالمديـــة وقسنطينة، ثم إلى الإسكندرية، وقد التقيا محمد علي باشا فأحسن وفادتهما وأكرمهما غاية الإكرام، ثم واصلا طريقهمـا حتى انتهيا إلى مكة ليؤديا مناسك الحـــج، وبعد فراغهما من مناسك

الحج انتقلا إلى المدينـة، ومنها توجهـــا رفقة الركب الشامي إلى دمشق التي مكثا فيها عدة أشهر، كانت فرصة للأمير عبد القادر لينهل من معيـن علم علمائها، وليلتقي صالحيها وفضلاءها، وأثناء إقامته بدمشق أخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ خالد النقشبندي السهروردي، ولما سافـــر رفقة والده إلى بغدادا زارا ضريـح الولي الصالح عبد القادر الجيلاني، وأخذ الأمير الإجازة بالطريقة القادرية من الأستاذ محمـود القادري الكيلاني، وبعد مكوثهما ثلاثة أشهر ببغداد عادا إلى دمشق، ثم سافرا إلى مكـة لأداء مناسك الحج ثانية، ليعود بعدها إلى موطنه بعد قرابة عامين، استطاع خلالها أن يتعرف على علماء وقادة، وأن يطلع على الأوضاع السياسية والاجتماعيـة والثقافيـة للبلاد الإسلامية التي زارها، وكذلك النهضة والتطورات الحديثة التي شهدتها مصر على يد محمد علي باشا، مكنته فيما بعد ليؤسس دولته على هذه المعايير.

**العودة من الحج والبيعة بالإمارة:** بعد عودة عبد القادر إلى بلدته ومسقط رأسه خلا بنفسه للعبادة، ومطالعة كثير من كتب الفقه، والفلسفة، والتاريخ، وقد كانت هذه المرحلة بمثابة الإعداد والتكوين لما سيعقبها من مراحل، ولم تدم هذه المرحلة كثيرا ليجد الأمير نفسه في معترك الحياة ممارســـا مـــا استفاده في رحلته ومطالعاته، لتبدأ مرحلة النضال والكفاح.

وفي يوم 05 جويلية 1830م احتل المستعمر الفرنسي مدينة الجزائر، مما حمل الداي العثماني على الاستسلام مقابل تقديم ضمانات لخروجه مع حاشيته في أمان مع الأموال التي جمعوها طيلة إقامتهم في الجزائر، ثم راح الجيش الفرنسي يغزو المناطق الساحلية مدينة تلو الأخرى، إلى أن احتل مدينة وهران في عام 1832م، وأمـــام هذا الواقـع المزري هرع سكان الغرب الجزائري إلى الشيخ محي الدين عارضين عليه مبايعته على الحكم، لما كان يتسم به من كرم الأخلاق، وشجاعة منقطعة النظير، لكنـــه اعتذر لهم متعللا بكبر سنه، راضيا بقيادة الجيش، مقترحا عليهم ابنه الشاب عبد القادر، فرضـوا بذلك وقبل الشاب، وفي 03 رجب 1248هـ تمت له البيعة تحت شجرة الدرداء الواقعة في غريس، وكان

أول المبايعين له أبوه، وأطلق عليه لقب " ناصر الدين " و" السلطان " لكنه لم يرض واكتفى بلقب الأمير، ثم بويع بيعة عامة في 15 رمضان 1248هـ وبعدها راح الأمير ينظم صفـــوف الشعب ويهيئ جيشه للدخول في معركة لمواجهـة المستعمر الفرنسي، وقد استطاع أن يكبد الجيش الفرنسي خسائر فادحـــــة اضطرت الجنرال " دي ميشيل " حاكـــم وهران أن يعقد معاهدة هدنة فـــي سنة /1834 م عرفت بمعاهدة "دي ميشيل"، مكنته أن يعيد تنظيم صفوف الجيش ويؤسس لدولتـــه الفتية، وقبل مرور سنة على الهدنة نقضت فرنســا العهد ليجد الأمير نفســه مضطرا للمواجهة الدامية فنادى بالجهاد العام مرددا: " هيا بنا أيها المسلمون إلى الجهاد، وهلموا إليه باجتهاد، وارفعـوا عن عواتقكم برود الكســـل، وأزيلوا من قلوبكم دواعي الخوف والوجل، أما علمتم أن من مات منكم مات شهيدا، ومن بقى نال الفخـــار وعـــاش سعيدا"[18]، فلبى النـــاس النداء، واستجابوا لداعي الجهاد، فخاضوا لجج الكفاح محققين أبرز الانتصارات على الفرنسيين، مما أرغم قائدهم " بيجو " حاكم وهران الجديد ليعقـد معهم اتفاقية صلح عرفت بمعاهدة " تافنة " في 30 ماي 1837 م، مكنت الأميـر من إعادة تنظيم صفوف جيشه، وترميم ما أحدثته المعارك من خلل في الحصـون والقلاع، وإعادة تنظيم شؤون البلاد، وكانت فرصة للقائد "بيجو" ليعد العدة لمعارك مستقبلية مع جيش الأمير، وفي عام 1839م، نكث بيجو الاتفاقية، ولجـأ إلى استعمال الوحشية، فضرب وقصف وأحرق المدن والقرى التي كانت تساند الأمير، غير مميز بين صغيـر أو كبير أو امرأة أو رجل، واستطاع أن يحرز عدة انتصارات على الأمير، مما ألجـأه إلى طلب مساندة حاكم المغرب، لكن الأخير وتحت الضغوطات والتهديدات الفرنسيـة امتنع عن تقديم يد المساعدة للأمير، بل إن الجيوش المراكشيـــة ساندت الفرنسيين في ضرب الأمير وجيشه، فلم يجد الأمير بدا من وضع السلاح وتسليم نفسه للفرنسيين بعد مـــا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وحاصـــره الفرنسيون والمراكشيون، وكـان ذلك عام 1847م، واشترط على الفرنسيين سلامتـــه ومن معـــه، وخروجـــه إلى عكـــا أو الإسكندرية، وأن يكون من بقي آمنا على نفسه وماله، لكن الفرنسيين غدروا به، فلما كان في المركب الحربي المخصص له نقلوه ومن معه- وكـان

عددهم يقارب الثمانين- إلى طولون ثم إلى الأمبواز بعد ستة أشهر، فبقي فيها سجينا إلى غاية سنــة 1852م، ولما تولى لويس نابليون الحكم أطلق سراحه وأهداه سيفا مرصعا ثم قال لـــه: " واعلم أنني أقدم لك هذا السيف، وأنا على يقين بأنك لا تجرده على فرنسا " فأجابــه الأمير: " إنني الآن ممن يستعمل القلم لا ممن يستعمل السيف "[19]، فتوجــه إلى باريس ثـم الآستانة حيث قابله السلطان العثماني عبد الحميد فأكرمـــه غاية الإكرام، وفـي عام 1271هـ انتقل إلى دمشق فأقام بها يدرس في الجـــامع الأموي الكبير، وفي سنة 1860 م نشبت فتنة طائفية بين المسلمين والمسيحيين، كادت تودي بآلاف الضحايا لولا تدخل الأمير وسعيه في إخماد نار هذه الفتنة.

وفي عام 1883 م توفي الأمير بدمشق عن عمر يناهز 76 سنة، عمر حافل بالتعلم والتعليم، والجهاد بالسيف والقلم، والعبادة، فرحم الله الأمير، وأسكنه فسيح جناته.

**تصوف الأمير عبد القادر الجزائري وحبه للسلام:**

لقد بدأت ملامح ميل الأمير عبد القادر إلى التصوف منذ صباه، يقول رحمه الله مفصحا عن ذلك: " كنت مغرما بمطالعة كتب القوم رضي الله عنهم- ويعني بهم الصوفية- منذ الصبا، غير سالك طريقهم، فكنت أثناء المطالعة أعثر على كلمات تصدر من سادات القوم وأكابرهم يقف شعري وتنقبض منها نفسي، مع إيماني بكلامهم على مرادهم، لأنني على يقين من آدابهم الكاملة وأخلاقهم الفاضلة " [ المواقف: 58/1 ]، ومما أسهم في تصوفه مولده في بيئة صوفية، فقد كان والده شيخ الطريقة الشاذلية، وعنه تلقى تعليمه الأول وتربيته، وقد نضج تصوفه أثناء خلوته في منفاه حين سجنته فرنسا، وازداد نضجه واكتمل حين استقر بدمشق، وهذه التجربة والثقافة الصوفية جعلت منه رجلا محبا للسلام محترما للإنسان بغض النظر عن جنسه أو لونه أو ديانته ومعتقده، حاديه قول نبي الرحمة عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: ( **والنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ** ) [ سنن الترمذي (3956 ) وقال: هذا حديث حسن صحيح ] وما جرى في دمشق سنة 1860م من فتنة طائفية بين المسلمين والمسيحيين كادت تأتي على الأخضر واليابس وتدخل الأمير بنفسه لإنقاذ وحماية

اثني عشر ألف مسيحي لخير شاهد على النزعة الإنسانية للأمير عبد القادر الجزائري والتي اكتسبها من تجربته الصوفية التي عاشها طوال حياته، فالأمير عبد القادر الجزائري يعد بحق من المنظرين لثقافة التعايش السلمي واحترام حقوق الإنسان مهما اختلفت الأجناس والديانات.

**المطلب الثاني: التعايش السلمي في ثقافة الأمير عبد القادر.**

لقد جسد الأمير عبد القادر مبدأ التعايش السلمـي في حربـه وفي سلمه، فكان مثالا للإنسـان السمح، المحب للسـلام، والعيش في أمـان، وتقديم لغة الحوار على لغة الصراع، وإن الدارس لسيرته ليجد هذه الحقيقة جلية، سواء في بلده أو بعد خروجه منه، فالأمير عبد القادر بإسهاماته يعد رجل الإنسانية بحق، فقد كان السبَّـاق إلى نشر ثقافة الحوار بين الأديان والثقافات المتباينة، والسبَّـاق إلى تكريس مبدأ حقـوق الإنسان في عصره والعصور التي تلته، وفي هذا المطلب بيان لبعض مواقفه رحمـه الله يتجلى فيها الروح السمحة للأمير، وانفتاحه على الغير، ونشره لثقافة السلام، ونبذ الخصام.

**1- احترام آدمية الإنسان:**

لقد كـان الأمير عبد القادر على مستوى كبيـر من الوعي المتفهم لحقيقة الإنسـان والإنسانيـة المتجاوزة لحدود الوطن والعرق والديانة، ويرى أن الشرائع جميعا تشترك من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم في هدف واحد، هو توحيد الله عز وجل وتعظيمه، يقول رحمه الله: " وأسـاس الديانة وأصولهـا لا خلاف فيها بين الأنبياء من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فكلهم يدعـون الخلق إلى توحيد الإله وتعظيمه" [20]، ويقـر أن الحيـاة منحة ربانية مُنحها الإنسان فلا يجوز هدمها تحت أي طائل، اللهم ردا لعدوانها، وبالتالـي فالجهـاد لم يشرع أصالة لإزهاق الأرواح وهدم الأنفس، وإنما شـرع دفعا لعدوان المعتدين، واغتصاب المغتصبين، وإلا فالجهاد الحقيقي إنما هو جهاد النفس، لذلك يذكر رحمه الله في كتابه المواقف حديث: ( **رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر** ) ثم يعلق عليه قائلا: " إنه عليه السلام سمى جهاد الكفار أصغر، ليكون

جهـاد الكفار وقتلهم ليس مقصودا للشارع بالذات، إذ ليس مقصود من الجهاد إهلاك مخلوقات الله، وإعدامهم، وهدم بنيـــان المولى تعالى وتخريب بلاده، فإن الحق تعالى ما خلق شيئا من السموات والأرض وفيما بينهما عبثـا، وما خلق الجن والإنس إلا لعبادته، وهم عابـدون له، وإنما مقصود الشـــارع دفع شـر الكفار، وقطع أذاهم عن المسلمين..... فلو فرض أنـــه لا يلحق المسلميـن أذى من الكافرين ما أبيح قتلهم " [21]، والأمير في هذا ليس منطلقا مما تلقاه من ثقافة، أو اجتهاد بل مستنده في ذلك ما تلقاه من مبادئ الشريعة الإسلامية التي تنهى عن قتـــل الأنفس عدوانا وظلما، قـال الله تعالى( **مِنْ أَجْلِ ذَلِك كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمِنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً** ) [المائدة: 32]، وقال تعالى: ( **لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَّارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُم وَتُقْسِطُوا إِلَيهِم إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ**)[الممتحنة:08 ].

**2- تسامح الأمير عبد القادر:**

لقد عرف الأمير عبد القادر بسماحته وتسامحه، وهما خلقـــان استمدهما من تعاليم الشريعة السمحة، الآمرة بكظم الغيظ، والعفو عن الناس، قال الله تعالى: ( **الذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَاءِ والضَّرَاء وَالكَاظِمِينَ الغَيْظ والعَافِّينَ عَنِ النَّاس والله يُحِبُ المُحْسِنِين** ) [ آل عمران: 134 ]، وقال صلى الله عليه وسلم: ( **من كظم غيـظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامـة على رؤوس الخلائق حتى يخيره فـي أيِّ الحور ما شاء** ) [22].

لقد كان التسامح من شيم الأمير ليس مع الأصدقاء فحسب، بل حتى مع الأعداء، فـي أصعب الظروف، وأحلك الحالات، يقول الجنرال " دوماس" – وقد كان مكلفا بحراســـة الأمير في سجنه- يوصي أحدهم بزيارته: " إنك ستجده أعظم وأجل في محنته منه فـي عزه، إنما ما يزال كما عـرف عنه يسمـــو إلى أعلى الدرجـــات، إنك ستجده معتدلا، وبسيطا جذابا، متواضعا، ثابتا لا يشكو أبدا، معتذرا لأعدائه- حتى أولائك الذين

مـا زال يمكن أن يعاني على أيديهم كثيرا-، ولا يسمح أن يُذكَروا بسوء في حضرته، ورغم أنه قد يشكو عن حق، من المسلمين أو المسيحيين، فإنهم سواء يجدون منه الصفح "[23].

ومن مظاهر التسامـح عند الأمير عبد القادر عدم إكراه من يؤمن بدين على الدخـول في غيره، وهو مبدأ إسلامي- كمـــا تقدم-، يقول الأمير عبد القادر في أحـد مؤلفاته: " إن تطبيق التسامح يتمثل في عدم إكراه أي مؤمن بدين على ترك دينه، وكل الشرائـع الإلهية- سواء الإسلام وغيره- متفقة في هذه المسألة "[24]، ولم يحمل الأميـر هذا المبدأ كشعار فحسب، بل جسده على أرض الواقع، وخير ما يمكن أن نستشهد به ما وقع عام 1860 م في دمشق من فتنة طائفية بين المسلمين والمسيحيين، فلقد كـــان للأميـر الدور البارز في إخماد نار هذه الفتنة التي كادت تأتي على الأخضر واليابس، رغم أن المسيحيين مخالفين له في الدين والمعتقـــد إلا أن هذا لم يمنعه من مد يد المســاعدة لهم وحمايتهم بنفسه، وبأعز ما يملك من جنده، ولم يثبت أنه أكرههم على الدخـول في دينـــه أو أكره غيرهم، لأنه في عقيدة الأمير، وعقيدة كل مسلم أنه لا إكراه في الدين، والمرشد إلى ذلك هو رب العالمين، وهذا قمة التسامح المحقق لمبدأ التعايش السلمي.

**3- سماحة الأمير مع الأسرى:** ومما سجله التاريخ للأمير عبد القادر الجزائري هو معاملتـه السمحة مع أسرى الحرب، وهو سلوك استمده من تعاليم الشريعـــة الإسلامية، فقد سن قوانين تحدد كيفية معاملة جنوده لأسرى العدو، ومن ذلك أن " أي فرنســي يتم أسره في المعارك يجب أن يعتبر أسير حرب، وأن يعامل كذلك إلى أن تتاح فرصة تبادله مقابل أسير جزائري "، كما حرم تحريما قاطعا قتل أسير مجرد من الســلاح "، كما أمر بأنَّه " على أي عربي في حوزته أسيرا فرنسيا أن يعامل هذا الأخير معاملة حسنة، وفي حـــال شكوى الأسير من سوء المعاملة لا تسقط المكافأة فحسب، بل قد تحل محلهـــا عقوبات ضد العربي "[25]، ليس هذا فحسب، بل إنه كان يعالج الأسرى، ويطعمهم، وإذا عجز عن ذلك خلـى سبيلهم، وهذه شهادة لبيل مار ( **Belle mare** ) للأمير عبد القادر يقول فيهـا: " إن التبادل المشرف للأسرى الذي حدث في العام 1841 الميلادي يرجع الفضل فيه كله إلـــى المبادأة من جانب عبد القادر، كـــان الأميـــر يكنُّ إعجابـــا فائقا للأسقف دوبوش

( **Dupuch** ) أول أسقف للجزائر العاصمة، وذلك على الرغم من عدم التقاء هذين الرجلين من قبل مطلقا.....وعلى الرغم أن فرنسا لم تكن راغبة في التصرف بطريـــق رسمية، فإن الأسقف كان مغلوبا على أمره، وكان لابد له من التفاوض، وعليه جرى في اليوم الثامن عشر من شهر مايو إعادة 138 أسير فرنسي إلى دوبوش بواسطـة واحد من ممثلي الأمير مقابل عدد مماثل من العرب، وفـــي العام التالي وعندما وجد عبد القادر نفسه عاجزا عن إطعام أسراه أطلق ســـراح عدد منهم بلا مقابل، كتب واحد من هؤلاء الأسرى يقول: " تصرف عبد القادر معي تصرفا شهما لم ألقاه قط في أكثر بلدان أوربا تحضرا "[26].

**4- تكريس الأمير لمبدأ الحوار.**

ومن صور ومظاهر التعايش السلمي عند الأمير عبد القادر تكريسه لمبدأ الحوار، بغية تقريب وجهات النظر، ومعرفـــة كل طرف للآخر، فقد ذكر في رسالته " ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" حاجـــة الإنســان إلى " أن تكون له قدرة على أن يعرف الآخر الذي هو شريكه ما في نفسه بعلامة وضعية، وهي إما إشارة وإما لفظ وإما كتابة "[27]، والجديـــر بالذكر أن هذه الرسالة وجهها الأمير إلى المجمع العلمي الفرنسي بعد أن عُدَّ أحد أبرز أعضائه، والتي تمحورت حول ثلاثة محـــاور، هي: العقل، والعلم، والكتابـة، أراد من خلالها أن يعرف الطرف الآخر بوجهة نظره، بأسلـــوب راق خـــال من أي مفاخرة أو تجريح، منوها بالتقدم العلمي الذي تحققه الأمة الفرنسية، مشيرا إلى أن هذا التقدم لو ارتبط باهتمام ديني، وشرعي لما ضاهاه تطور، يقول رحمه الله: " فلو استعملوا مع هذا العقل العلمي العقل النظـري في معرفة الله وفـــي معرفة حكمتـــه في خلق السموات والأرض، وما يلزم الإله من الكمال، وما يتنزه عنه من النقص، وما يمكـــن في حقه أن يفعله، وأن لا يفعله، لكانوا حازوا المرتبة التي لا تدرك، والمزية التي لا تشرك "[28].

**خاتمة:**

بعد هذه الجولة الخاطفـــة في رحاب التعايش السلمـــي في المنظور الإسلامي، وأهم المرتكزات التي يقوم عليهـــا مستهدين بنصوص الكتاب والسنة يتجلى لنا مدى سماحة الشريعة الإسلامية ورحمتها، بخلاف ما يحـــاول البعض أن يلصقه بالإسلام من عنف، وتطرف، وإقصاء للآخر، ممن لم يقف على حقيقته، ولم يقرأ تاريخ الأمة الإسلامية، وما ضربه الفاتحون الأوائل من أروع صور وأبهى نماذج التسامح واحترام الغير مراعـــاة لإنسانيته، وفي ركب هؤلاء الأمير عبد القادر الجزائري مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، فقد كان مثالا للمسلم الحقيقي المتمسك بمبادئ دينه في حربه وسلمـه، كان متسامحـــا حتى مع ألد أعدائه، فلم ينقض عهدا، ولم يعذب أسيرا، بل كان رحيمـــا بأسراه، يطعم جائعهم، ويعالج جريحهم، فإن عجز عن ذلك خلى سبيلهم من غيـر مقابل، ويوم نشبت تلك الفتنة الطائفية بين المسلمين والمسيحيين، احتمى به المسيحيون، لما علموا من كرم أخلاقه، ونبل سجاياه، فوفر لهم الحماية اللازمة، مضحيـــا بنفسه، وأعز ما يملك من جنده، حاديه في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: ( **ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة** ) [29]، وقوله صلى الله عليه وسلم: ( **من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحهـــا ليوجد من مسيرة أربعين عاما** ) [30]، فاستطاع بذلك أن يجنب المسلمين والمسيحيين حربا طاحنة كانت ستأتي على الأخضر واليابس، كانت قد تستمر حتى زمان الناس هذا.

***- قائمة المصادر والمراجع:**

1- الأمير عبد القادر العالم المجاهد: نزار أباظة- دار الفكـــــر ( دمشق ) ط01 ( 1414هـ-1994م).

2- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي-دار الهداية للنشر والتوزيع.

3- تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر: محمد باشا ابن الأمير-المطبعة الحجازية ( الاسكندرية ).

4- تخيل التعايش معا تجديد الإنسانية بعد الصراع الإثني العنيف: نسايز انطوينا ومينا ومارثا- ترجمة: فؤاد السروجي- دار الأهلية للنشر والتوزيع ( عمان- الأردن )- ط01 ( 1426 هـ ).

5- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر- دار الفكر- ط01(1417هـ-1996م )- تحقيق: محب الدين أبي سعيد بن غرامة العمراني.

6- حياة الأمير عبد القادر: شارل هنري تشرشل- ترجمة: د أبو القاسم سعد الله- الدار التونسية للنشر(تونس).

7- الدعوة إلى الإسلام: توماس آرنولد- ترجمة: د حسن إبراهيم حسن، ود عبد المجيد عابدين واسماعيل النحراوي- دار النهضة المصرية ( القاهرة ) ط( 1970م).

8- ديوان الأمير عبد القادر: جمع وتحقيق: د العربي دحو-ثالة ط2007 م.

9- ذكرى العاقل وتنبيه الغافل: الأمير عبد القادر-بيروت-.

13- صقر الصحراء: سكاون ولفريد بلنت- ترجمة: د صبري محمد حسن-مركز الأهرام للنشر ( القاهرة ) ط01 ( 2016 م ).

9- فتوح البلدان: أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر البلاذري- مؤسسة المعارف ( بيروت ) ط( 1407هـ-1987 م ) تحقيق: عبد الله أنيس الطباع.

10- قصة الحضارة: ول وايريل ديورانت- ترجمة: محمد بدران- دار الجيل ( بيروت).

11- الفقيه والمتفقه: الخطيب البغدادي-دار ابن الجوزي بالسعودية، ط ( 1417هـ )- تحقيق: عادل بن يوسف العزازي.

12- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري- دار صادر ( بيروت ).

13- الله ليس كذلك: زيجريد هونكه- دار الشروق- مؤسسة باقاريا مجلة النور الكويتية.

14- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي-مكتبة لبنان ( بيروت )- ط(1415 هـ- 1995 م )

15- المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر: إسماعيل العربي- الجزائر-

16- المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر ، ومحمد النجار- تحقيق: مجمع اللغة العربية- دار الدعوة للنشر والتوزيع.

17- المواقف الروحية والفيوضات السبوحية: الأمير عبد القادر- دار الكتب العلمية ( بيروت ) ط01( 2004/- 1425هـ ) .

**الهوامش:**

(1) قصة الحضارة: ول وايريل ديورانت- ترجمة: محمد بدران- دار الجيل ( بيروت)- 130/13 .

(2) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري- دار صادر ( بيروت )-321/6 ].

(3) المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر ، ومحمد النجار- تحقيق: مجمع اللغة العربية- دار الدعوة للنشر والتوزيع-640/2 .

(4) تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي- دار الهداية للنشر والتوزيع-286/17.

(5) تخيل التعايش معا تجديد الإنسانية بعد الصراع الإثني العنيف: نسايز انطوينا ومينا ومارثا- ترجمة: فؤاد السروجي- دار الأهلية للنشر والتوزيع ( عمان- الأردن )- ط01 ( 1426 هـ )- ص29.

(6) ينظر: لسان العرب- مادة ( سلم ): 289/12.

(7) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي- مكتبة لبنان ( بيروت )- ط(1415 هـ- 1995 م )

(8) صحيح البخاري ( كتاب الجنائز- باب من قام لجنازة يهودي ) رقم (1312 )-85/2.

(9) الدعوة إلى الإسلام: توماس آرنولد- ترجمة: د حسن إبراهيم حسن، ود عبد المجيد عابدين، واسماعيل النحراوي- دار النهذة المصرية ( القاهرة ) ط( 1970 م )- ص98-99

(10) سنن أبي داود ( كتاب الخراج –باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا في التجارات ) رقم (3054 )-136/3.

(11) صحيح البخاري ( كتاب الديات- باب إثم من قتل ذميا بغير جرم ) رقم (6914 )-12/9.

(12) تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر- دار الفكر- ط01(1417هـ-1996م )- تحقيق: محب الدين أبي سعيد بن غرامة العمراني-130/41.

(13) فتوح البلدان: أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري- مؤسسة المعارف ( بيروت ) ط ( 1407هـ-1987 م ) تحقيق: عبد الله أنيس الطباع- ص187.

(14) الله ليس كذلك: زيجريد هونكه- دار الشروق- مؤسسة باقاريا مجلة النور الكويتية- ص101.

(15) الفقيه والمتفقه: الخطيب البغدادي-دار ابن الجوزي بالسعودية، ط( 1417هـ)- تحقيق: عادل بن يوسف العزازي- 363/1

(16) تنظر ترجمته مفصلة في: حياة الأمير عبد القادر: شارل هنري تشرشل- ترجمة: د أبو القاسم سعد الله- الدار التونسية للنشر(تونس)-ص39 فما بعدها، وصقر الصحراء: سكاون ولفريد بلنت- ترجمة: د صبري محمد حسن- مركز الأهرام للنشر ( القاهرة ) ط01 ( 2016 م )-ص57 فما بعدها، والأمير عبد القادر العالم المجاهد: نزار أباظة- دار الفكر ( دمشق ) ط01 ( 1414هـ-1994م)-ص09 فما بعدها.

(17) ديوان الأمير عبد القادر: جمع وتحقيق: د العربي دحو-ثالة ط2007 م-ص60-61.

(18) تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر: محمد باشا ابن الأمير-المطبعة الحجازية ( الاسكندرية ) - 150/1.

(19) تحفة الزائر: 44/2.

(20) ذكرى العاقل وتنبيه الغافل: الأمير عبد القادر-بيروت-ص122

(21) المواقف الروحية والفيوضات السبوحية: الأمير عبد القادر- دار الكتب العلمية ( بيروت ) ط01( 2004/- 1425هـ )- 133/1-134

(22) أخرجه أحمد (15637 ) وأبو داود (4779 ) وابن ماجة (4186 ) والترمذي (2021 ) وقال : هذا حديث حسن غريب.

(23) حياة الأمير عبد القادر: تشرشل: ص257-258.

(24) ذكرى العاقل وتنبيه الغافل: ص101.

(25) المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر: إسماعيل العربي- الجزائر-ص236.

(26) صقر الصحراء: ص107.

(27) ذكرى العاقل وتنبيه الغافل: ص111.

(28) المصدر السابق: ص117.

(29) سنن أبي داود ( كتاب الخراج –باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا في التجارات ) رقم (3054 )-136/3.

(30) صحيح البخاري ( كتاب الديات- باب إثم من قتل ذميا بغير جرم ) رقم (6914 )-12/9.